العودة الى الصفحة الرئيسية

يوسف بزي
قاتلت عسكريا مع القوميين خلال الحرب
ومستعد اليوم للقتال مع "القوات"... بالكلمة

طوني أبي نجم

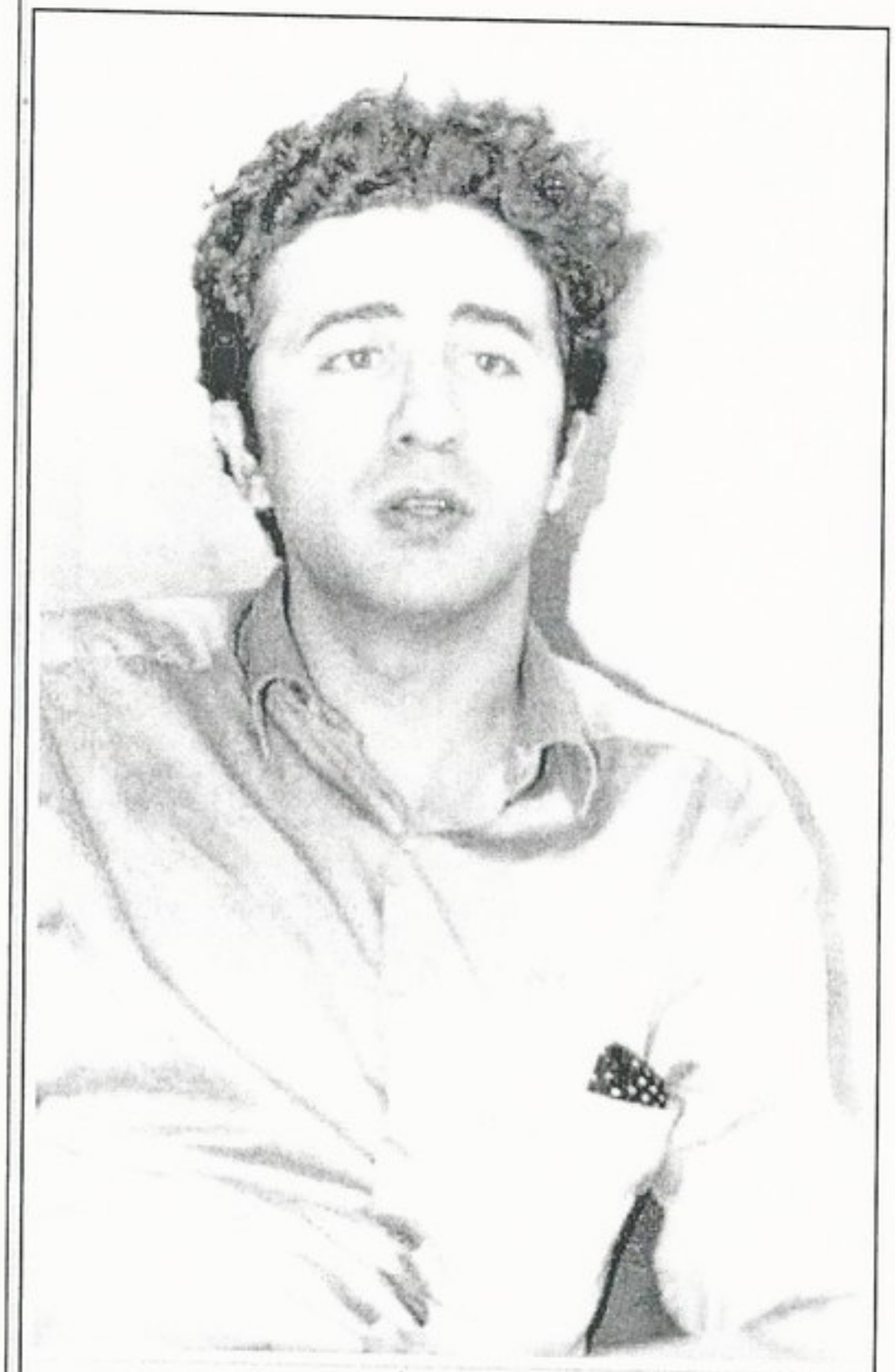
يوسف بزي زمن الحرب. أرشيف "النهار"

جربة الزميل يوسف بزي في الحرب اللبنانية أكثر من معنى ى. والأهم في كل المعاني خلاصة تستحق التوقف عندها: ألزمني خصمي أن أحمل السلاح يكون انتصر عليّ". بزي لـ"النهار الشباب" تجربته الغنية.

ن مواليد بيروت من أب شيعي من بنت جبيل وأم مسيحية من ح من الأشرفية. لذلك لم أعرف يوما هوية مذهبية. وعيي عمر ٦ سنوات ارتبط ببيروت المدينة وضواحيها. مع انطلاقة ب اللبنانية قتل والدي في منطقة ضهر الجمل في سن الفيل، كان منضويا في الحزب السوري القومي الاجتماعي. لذا كان طبيعي أن يصبح الحزب بمثابة أب بديل. وما إن بلغت ال١٤ عمري مطلع عام ١٩٨١ حتى قررت أن أنتسب الى القوى عرية لهذا الحزب.

ت لدورتين عسكريتين ودورة اختصاص على سلاح عية. شاركت في كل المعارك بين عامي ١٩٨١ و١٩٨٦ التي ك فيها الحزب القومي: من شرق صيدا الى زواريب بيروت لضاحية الجنوبية والجبل والكورة وطرابلس والمتن الشمالي، في ذلك حصار بيروت عام ١٩٨٢، وحروب الزواريب احم على الهيمنة وتقاسم سوارع بيروت الغربية حينذاك. ى من المعاني كانت "مهنتي" طوال ٦ سنوات: ميليشيوي.

مذابح القوميين

ارا من العام ١٩٨٥ بدأ القوميون يذبحون بعضهم بعضا، مثل عصابات مافيا لا يردعها أي وازع أخلاقي. وبالتزامن ك كنت أحصّل وعيا ذاتيا من خلال المطالعة والدراسة التي ها، إضافة الى الاحتكاك مع الأفكار الأخرى وتبياني للتناقض رخ ما بين الادعاء الايديولوجي الهائل وبين الواقع الشديد التفاهة. ا تبيّنت الفارق بين ادعاء الحلم واليوميات الموحلة، أيقنت أن صحة أي نظرية تتم عبر فحصها بالتجارب وتحكيم العبرة خية. بعد مذابح القوميين في ما بينهم، أيقنت أن هذا الحزب بطبيعته الفاشية، نصا وروحا، لن يجيد سوى الكراهية التي الأجنبي ثم تتطوّر الى المختلف داخل ما يسمونه الأمة، ثم تصل الى طورها الأخبر عبر إفناء الذات. ب الى ذلك كله أن التجربة الميليشيوية نفسها كانت كفيلة بتلقيني درسا، أتمنى لو أن كل الأجيال من اللبنانيين تعرفه من أن تختبره. فكل حرب أهلية تشكل هزيمة للجميع، وهي أسرع وسيلة للعودة الى ما قبل المجتمع.

القلم عوضا عن السلاح

نتهاء الحرب غادرت الى أفريقيا مطلع عام ١٩٨٧ لمدة ٩ أشهر، واكتشفت أنني بددت طفولتي ومراهقتي. واكتشفت أن العالم أرحب وأجمل من أي أفكار عقائدية. عندها اتخذت قرارا أن أمتهن الكتابة تدوينا بشتى الطرق لما اختزنته في ي، صحافة وشعرا وسرديات نثرية. فعدت الى لبنان لدراسة الفلسفة في الجامعة وامتهان الأدب والصحافة. وقررت أن ن حربا بالكلمة والموقف وبأدوات الفن، بالشراكة مع من أجدهم في الموقع نفسه من أجل صون فكرة لبنان، وإعطاء سة لقيام دولة حديثة، ولإعطاء فرصة لأنفسنا كي نصير "مواطنين"، أي أن نحصّل هوية لبنانية ونركب مجتمعا تعدديا قراطيا، عسى بذلك نصبح بلدا ينتمي الى نادي بلدان ما بعد الحروب الأهلية، التي تصبح عادة ناضجة. حرب خبرت خواء الشعارات التي تهدج باسم العروبة والتقدمية والقومية واليسارية، والتي تودي كلها بالدولة والمجتمع

لتهلكة والفساد والاستبداد والتسلط المافيوي وانعدام القانون واستشراء المحسوبية واقتصاد الزبائنية.
ت ذلك في دولة الفاكهاني مع ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية. وخبرت ذلك مع سيطرة المخابرات حيث أن
لة السياسية والادارية لهؤلاء لا تفضي إلا الى مثال الديكتاتوريات الصغيرة ونظام المافيا القاتل.

شعارات فارغة

ت بمعنى آخر أن لا قيمة لوحدة سورية أو عربية أو إسلامية أو أممية، طالما أنها تقوم على أنقاض المجتمعات والدول
انات والخصوصيات والتنوّع والتعدد.
ذه المشاريع لا تؤدي إلا الى "هولوكوست" مستدام. لقد خبر اللبنانيون معنى إنكار الآخرين لسيادتهم تماما كما خبر خبر
طينيون إنكار استقلالهم وشيعة العراق وأكراده عاشوا إنكار هويتهم من قبل ديكتاتوريات صنيعة العجينة الايديولوجية
في بغداد أو دمشق أو طرابلس الغرب. والآن قد يفرضون علينا نموذجا خمينيا كارها للحداثة والمعاصرة.
كله بتّ منذ إرساء السلم في لبنان منحازا بتطرّف الى هويتي اللبنانية، والى ذاكرة هذه الهوية بما تختزنه من تجربة
ة وصيغة لا يجب أن نفرّط بها على الاطلاق. ويمكنني اليوم أن أقول إن صيغة الجمهورية الأولى، بما انطوت عليه من
ء المسيحيين دورا قياديا هي أفضل من صيغة الطائف، لكن للأسف خسر المسيحيون ميزاتهم بعدما أصابهم ما أصاب
ب لافونتين. ولم أقتنع بمبدأ المشاركة والمناصفة إلا بعدما أبدى عدد كبير من المسلمين انحيازه الى شعار "لبنان أولا".

رواية "القوات" هي الصحيحة

ن صريحين، بعد الحرب لم يعتذر احد إلا مسؤولين وشخصيات من "القوات اللبنانية". وحتى اليوم لم يعتذر أحد من
ة "أمل" عما اقترفه في المخيمات مثلا. ولم يعتذر أحد من "حزب الله" عما فعله، على الأقل، بالشيعة في إقليم التفاح أو
الشيوعيين واليساريين.
يس مصادفة، ذلك لأن "القوات اللبنانية" كانت البادئة بتسليم أسلحتها وحل نفسها كميليشيات، لأنها الأكثر تصديقا
ف وهي الوحيدة التي دفعت ثمنا له على أمل أن يعود لبنان دولة طبيعية وتنتهي الحرب. وإذا، لا سمح الله، نشبت
ب الأهلية مجددا وانتصرت الحماقة، سأقاتل مع "القوات اللبنانية". لكن كما قال سمير جعجع في مؤتمره الصحافي
ر، سنقاتل بالكلمة، وبالكلمة وحدها. أما حمل السلاح فهذا يعني انتصار خصمي.
تشف معظم مناوئي "القوات اللبنانية" أن الرواية المعتمدة للحرب اللبنانية زائفة. اكتشفوا أن الحرب الأهلية انطلقت منذ
١٩٦٩ مع انتصار وجهة نظر سوريا وإرادة النظمات الفلسطينية عبر اتفاق القاهرة باستباحة لبنان وتحويله ساحة
ة وصندوق بريد ناري، وورقة ابتزاز بغض النظر عن مصلحة الكيان اللبناني وهشاشته، وأيضا باللعب على
ضات المحلية تحت عنوان المشاركة، تماما كما يحصل اليوم.
لاستباحة أودت الى تقويض الدولة ومؤسساتها وإخراج المواطنين والمجتمعات الأهلية على هذه الدولة.
ن آخر، ما جرى بين ١٩٦٩ و١٩٧٥ كان اغتيالا لمشروع الحداثة الديموقراطية والليبرالية المنفتحة من أجل مشروع
راتي لا يقيم وزنا للمجتمعات والشعوب.
بغض النظر عن النبرة الفاشية والملامح العنصرية التي وسمت خطاب "الجبهة اللبنانية"، فإن موقفها المبدئي دفاعا عن
الدولة بدا هو الصائب، وقد ورثته "القوات اللبنانية" في ما بعد بعدما تخلصت من الإرث الفاشي واللهجة العنصرية.